واذا اردنا بالعضو في العرف البيولوجي الجسم المركب الذي يقدر ان يفعل فعلاً طبيعياً فالخلية ذات النوى عضو في ابسط حالاتهِ . واذا كان الحيوان او النبات قائماً بخلية واحدة فذلك العضو في ابسط درجاتهِ. والحيوانات والنباتات العليا مكونة من كثير من هذه الاعضاء ولكل عضو منها حياة يستقلُّ بها وحياة يرتبط بها بغيرهِ لكي تعمل كل هذه الاعضاء معاً بالاتفاق لغرض عام وهي مثل المغازل في المعامل فان كلاً منها يدور وحدهُ مستقلاً عن غيرهِ وكلها تعمل معاً في غزل الخيوط التي ينسج النسيج منها

وقد اقتضى ايصال ما نعرفهُ عن بناء انسجة الحيوان والنبات واعضائهما الى ما وصل اليهِ الآن بحثاً متواصلاً اكثر من خمسين سنة (وهنا ذكر الخطيب اسماء الذين لهم الباع الاطول والفضل اكبر في هذه المباحث وسيأتي الكلام على تتمة خطابتهِ في الجزء التالي)

البوم وطباعهُ

البوم طائر الشؤم وناعي الخراب تسمع صوتهُ في الليلة الظلماء فتتذكر ما قصتهُ عليك جدتك في صبائك من قصر تردَّد عليهِ البوم ينعب في شرفاتهِ فلم يعتم ان مات اهلهُ وتقوَّضت اركانهُ وبيت وقع البوم على سطحهِ وانذر ساكنيهِ بالخراب فدبَّ فيهم الفناء وانقرضوا عن آخرهم . وقد يخطر على بالك ما جاء في كتاب سراج الملوك وهو " ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميراً لهُ يحدثهُ فكان في ما حدثهُ بهِ ان قال يا امير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها فقالت بومة البصرة لا افعل الاَّ ان تجعلي لي صداقها مئة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلَّمهُ الله علينا سنة واحدة فعلتُ لكِ ذلك " فتقول في نفسك ان البوم لم تُرتبط صورتهُ بالخراب لانهُ نذير بهِ بل لانهُ يقيم فيهِ ليأكل ما يجدهُ من الجرذان وصغار الحيوان ولكن يبقى الوهم الاول سائداً على النفوس فلا يسمع العامَّة صوت البوم الاَّ تعوذوا منهُ ولا يسمعهُ الخاصَّة الاَّ تذكروا اقاصيص العجائز

وشكل البومة معروف تمتاز بهِ عن غيرها من الطيور وكذلك هيكلها العظمي واخص ما تمتاز بهِ ظاهراً اتساع عينيها ودائرتان كبيرتان حولها ولبعضها قرنان من الريش في رأسها كما ترى في الشكل التالي. وهي طائر ليلي يطير ليلاً وينام نهاراً ويبهرهُ النور في النهار لكن بعضها يطير نهاراً وينقضُّ على فرائسهِ في عين الشمس . وبيضها ابيض مستدير وفراخها تولد مغطاة

بالرغب وانواعها كثيرة عدَّ منها نحو مئتي نوع بعضها كبير جدًّا في حجم النسر وبعضها صغير في حجم السماني . وهي منتشرة في كل اقطار المسكونة من الاصقاع القطبية الى جزائر المحيط

وطعام البوم لحوم الحيوانات الحية التي تصطادها من الفيران والجرذان والارانب والطيور والحشرات وفي تطلب فرائسها ليلاً فتدنو منها خفية وتطير اليها طيرانًا لا يسمع لهُ صوت لكثرة ريشها والاَّ فلو اشتدَّ صوت طيرانها لفرت بها الفرائس وهربت من وجهها . وغالبها يعشش

في الاشجار لكن بعضها يعشش بين الصخور وعلى الرمال وفي البيوت والخرب ومن ذلك قول بعضهم

يا قصر جمّع فيك الشوم واللومُ متى يعشش في اركانك البومُ

ولما كان اكثر طعامها من الفيران والجرذان فنفعها لاهل الزراعة اكثر من ضرها . واشهر انواعها بوم الاهراء وهو منتشر في اكثر الاقطار ومن غريب امرهِ ان انثاهُ وذكرهُ يحضنان البيض معًا في وقت واحد جانبًا منهُ تحضنهُ الانثى وجانبًا يحضنهُ الذكر وقد اخذ بعضهم بيض البوم وابدلهُ ببيض الدجاج فحضنتهُ البومة الى ان ظهرت الفراخ منهُ . ومنها نوع اميركي

صغير الحجم جداً كانهُ العصفور. كتب بعضهم يقول انهُ رأى يوماً منهُ تسكن في تجويف شجرة من السنديان في وسخاب وهما على تمام الوئام والائتلاف وكثيراً ما يدخلان الثقب الموصل اليهِ في وقت واحد. والبومة القرفاة المرسومة في الصفحة المتقدمة منتشرة في اوربا كلها حتى الدرجة ٤٦ من العرض الشمالي وفي الجهات الشمالية من افريقية وتبلغ بلاد الصين واليابان شرقاً وتكاد تكون من الطيور القواطع. وطعامها الفيران والجرذان مثل غيرها من انواع البوم وقد توجد في عشاشها اقدام الارانب وفضلات الضفادع والغالب انها تنتصب وكر السخاب وتبيض فيهِ

والبوم الذي اسمع صوتهُ بعض الليالي في القاهرة من البوم الصغير وهو ليلي مثل غيرهِ من انواع البوم لكنهُ قد يطير ويصطاد نهاراً وكثيراً ما تراهُ على شرفة بيت مجاور لنا بُعيد غروب الشمس واسمع صوتهُ في اكثر الليل ولعلهُ النوع المشهور في اقاصيص العرب الذي سموهُ بالهامة والصدى وهو الوارد في قول توبة الحميري

ولو انَّ ليلى الاخيلية سلَّمت عليَّ ودوني جندل وصفائحُ
لسلمتُ تسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائحُ

قال الجاحظ "وانواع البوم الهامة والصدى والضوع والخفاش وغراب الليل والبومة وبعضها يصيد النهار وسام ابرص والعصافير وصغار الحشرات وبعضها يصيد البعوض ومن طبعها ان تدخل على كل طائر في وكرهِ وتخرجهُ منهُ وتأكل فراخهُ وبيضهُ وهي قوية السلطان بالليل لا يحتملها شيءٌ من الطير ولا تنام بالليل فاذا رآها الطير بالنهار قتلتها ونتفن ريشها للعداوة التي بينهنَّ وبينها" ونقل المسعودي عنهُ "انها لا تظهر في النهار خوفاً من ان تصاب بالعين لحسنها وجمالها ولما تصوَّر في نفسها انها احسن الحيوان لم تظهر الاَّ بالليل". وهذا القول الاخير من الخرافات التي حواها كتاب الجاحظ على ما فيهِ من الحقائق العلمية ولبعدها عن المعقول والمألوف نظن اكثرها مدخلاً فيهِ ادخلهُ النساخ جهلاً منهم

ومن البوم نوع كبير كالنسر يسمى البوم الباشق ونوع آخر اكبر منهُ واشرس يسمى البوم النسري وهذا كثير في اسيا واوربا وشمالي افريقية وهو يصطاد الارانب واذا عثر عليهِ في النهار نتش ريشهُ تحويفاً لمن يدنو منهُ ويقال انهُ يغلب النسر بقوتهِ وشراستهِ وتجتمع عليهِ الطيور الصغيرة اذا ظهر نهاراً والغراب في مقدمتها وهذا ينطبق على ما ذكرهُ الجاحظ وغيرهُ من كتاب العرب من اجتماع الطيور على البوم